

مختصر ابن كثير

25 - هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخلوا في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً .

- 26 - إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزلنا سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكانوا بكل شيء عليماً .

يقول تعالى مخبراً عن الكفار ومشركي العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم : { هم الذين كفروا } أي هم الكفار دون غيرهم { وصدوكم عن المسجد الحرام } أي وأنتم أحق به وأنتم أهله في نفس الأمر { والهدي معكوفاً أن يبلغ محله } أي وصدوا الهدي أن يصل إلى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدي سبعين بدنة وقوله D : { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } أي بين أظهرهم ممن يكتن إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكننا سلطانكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى : { لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة } أي إثم وغرامة { بغير علم ليدخلوا في رحمته من يشاء } أي يؤخر .

عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الإسلام ثم قال تبارك وتعالى : { لو تزيلوا } أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم { لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً } أي لسלטناكم عليهم فقتلتموهم قتلاً ذريعاً . عن جنيد بن سبيع قال : " قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافراً وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وفيما نزلت : { ولولا رجال مؤمنون ومؤمنات } قال : كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين " (أخرجه الحافظ الطبراني قال ابن كثير : الصواب عن حبيب بن سباع) . وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس Bهما في قوله تعالى : { لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً } يقول : لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذاباً أليماً بقتلهم إياهم وقوله D : { إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية } وذلك حين أبوا أن يكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى { وهي قول : لا إله إلا الله } كما قال ابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { وألزمهم كلمة التقوى } قال : " لا إله إلا الله " (أخرجه ابن جرير ورواه الترمذي وقال : حديث غريب) وقال ابن أبي

حاتم عن سعيد بن المسيب إن أبا هريرة Bه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله D " وأنزل الله في كتابه وذكر قوما فقال : { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون } وقال الله جل ثناؤه : { وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها } وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة (أخرج ابن أبي حاتم قال ابن كثير : ورواه بهذه الزيادات ابن جرير والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري) وقال مجاهد : كلمة التقوى الاخلاص وقال عطاء : هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير وقال علي Bه : { وألزمهم كلمة التقوى } قال : لا إله إلا الله وأكبر وقال ابن عباس { وألزمهم كلمة التقوى } يقول شهادة أن لا إله إلا الله وهي رأس كل تقوى وقال سعيد بن جبير : { وألزمهم كلمة التقوى } لا إله إلا الله والجهاد في سبيله { وكانوا أحق بها وأهلها } كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها { وكان الله بكل شيء عليما } أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر .
(ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح) .

روى الإمام أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم Bهما قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمئة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمرور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليها عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله D أو تنفرد هذه السالفة " ثم أمر الناس فسلخوا ذات اليمين بين طهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة قال : فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأته خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس : خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما خلأت " وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها " ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس : " انزلوا " قالوا : يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول

ﷺ صلى الله عليه وسلم من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قلب من تلك القلب فغرز فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه يعطن فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا (بديل بن ورقاء) في رجال من خزاعة فقال لهم .

كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد صلى الله عليه وسلم إن محمدا لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه فاتهموهم (هذا جزء لحديث طويل أخرجه الإمام أحمد وعبد الرزاق وقد اقتصرنا على هذا القدر لنذكر رواية البخاري C) .

وروى البخاري C في صحيحه عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال : إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك وما نعوك فقال A : " أشيروا أيها الناس علي أترون أن نميل على عيالهم وذريتهم هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ فقال أبو بكر B : يا رسول الله ﷺ خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه فقال النبي A : " فامضوا على اسم الله تعالى " حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي A : " إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوا " ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي A حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقالت الناس : حل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي A : " ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل " ثم قال A : " والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله تعالى إلا أعطيتهم إياها " ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع A من كنانته سهما ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوا " ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء (بديل بن ورقاء) الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عبية نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا عدا مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي A : " إنا لم نجئ لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد حموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سألفتي أو لينفذن الله أمره " قال بديل : سأبلغهم ما تقول .

فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول قال : سمعته يقول : كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ فقال عروة بن مسعود فقال أي قوم : أستم بالوالد ؟ قالوا : بلى قال : وألست بالولد ؟ قالوا : بلى قال : فهل تتهمونني ؟ قالوا : لا قال : أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتة قالوا : آتة فأتاه فجعل يكلم النبي A فقال النبي A له نحوا من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك : أي محمد أ رأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فإنني وإني لأرى وجوها وإنني لأرى أشوايا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر B : امص بظر اللات أنحن نفر وندعه ؟ قال : من ذا ؟ قالوا : أبا بكر قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجرك بها لأجبتك . قال : وجعل يكلم النبي A فلما .

كلمه أخذ بلحيته A والمغيرة بن شعبة B قائم على رأس النبي A ومعه السيف وعليه المغفر وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى .

إني عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال : أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرجع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة قال : أي غدر أأست أسعى في غدرتك ؟ - وكان المغيرة بن شعبة B صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم - فقال النبي A : " أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء " ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي A بعينيه قال : فواي ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتردوا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له A فرجع عروة إلى أصحابه . فقال : أي قوم وإني لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وإني ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا وإني إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتردوا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل منهم من بني كنانة : دعوني آتة فقالوا : آتة فلما أشرف على النبي A وأصحابه Bهم قال النبي A : " هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له " فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني آتة فقالوا : آتة فلما أشرف عليهم قال

النبي A : " هذا مكرز وهو رجل فاجر " فجعل يكلم النبي A فينما هو يكلم إذ جاءه سهيل بن عمرو وقال معمر : أخبرني أيوب عن عكرمة أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي A : " قد سهل لكم من أمركم " . قال معمر قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبي A بعلي B وقال : " اكتب بسم الرحمن الرحيم " فقال سهيل بن عمرو : أما الرحمن فواي ما أدري ما هو ولكن اكتب : باسمك اللهم كذا كنت تكتب فقال المسلمون : واي لا نكتبها إلا بسم الرحمن الرحيم فقال النبي A : " اكتب باسمك اللهم " ثم قال : " هذا ما قضى عليه محمد رسول الله " فقال سهيل : واي لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب : محمد بن عبد الله فقال النبي A : " واي إنني لرسول الله وإن كذبتوني اكتب : محمد ابن عبد الله " .
(يتبع . . .)